الباب الثالث

العشوائيات فى مصر

obeikandl.com

obeikandl.com

العشوائيات فى مصر

العشوائيات تمثل مشكلة مزمنة ومركبة فى مصر، على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية فعلى المستوى الاجتماعي، تتسبب العشوائيات فى نشاة مجتمعات غير متحضرة، تسودها سلوكيات اجتماعية مريضة وخطيرة،تهدد استقرار نمط الأسرة الممتدة والمجتمع بأسره، ومن أهمها:عدم احترام خصوصية الجيران وانتهاك حرماتهم من مال ونفس وعرض ودين،والتعدي على أملاك الجيران والاستيلاء عليها ، وانتشار وتفشي الأمراض الاجتماعية،مثل:السرقة المنظمة،وتعاطي المخدرات والمسكرات بأنواعها، والبلطجة والعنف المتبادل، وزنا المحارم، الخ وترتفع فى تلك البيئة معدلات الأمية والجهل ، وتنخفض فرص البقاء على قيد الحياة وعلى المستوى الاقتصادي، تنهض العشوائيات على أساس مهن هامشية وعارضة ،شرعية وغير شرعية، منها: الاتجار فى المخدرات والأطفال، وتجارة الخضار والفاكهة وما شاكلها المتنقلة بين أحياء المدينة المجاورة والتى ترقد العشوائيات على أطرافها أو فى قلبها، وخدمة البيوت من جانب السيدات وبناتهن وتنتشر فى تلك البيئة ظاهرة عمالة الأطفال، وتنتهك حقوقهم وترقد العشوائيات على أملاك واسعة للدولة، تخلو غالباً من البنية الأساسية والمرافق والخدمات العامة اللازمة للحياة الكريمة،التي يتم الاستيلاء عليها بطرق غير شرعية، فى ظل غياب أجهزة الإدارة المحلية فى مصر المعنية.

وتمثل العشوائيات غصة فى حلق خطط وبرامج التنمية وتمثل الموارد الكامنة فى المحليات، المادية منها والبشرية، خصماً خطيراً من معادلة التنمية وعلى المستوى السياسي والأمني،تمثل العشوائيات مصدراً هاماً لتوريد البلطجية لمرشحي الانتخابات لإرهاب منافسيهم والتعدي عليهم وعلى مندوبيهم، كما تمثل مرتعاً للقلق وعدم الاستقرار السياسي باعتبارها موئلاً مهماً للمجرمين وعلى المستوى الثقافي، تساهم العشوائيات فى تصدير ثقافة غريبة، مفرداتها: الحقد على المجتمع، والازدحام، والتخبط والقبح العمراني وعدم التناسق الجمالي، واللامبالاة، والعشوائية فى الأداء، والانزواء على النفس، والبلطجة والسرقة، وشراء الذمم والطبقية، وعدم الانتماء وغياب الولاء للبلد أو لقيم المجتمع الأصيلة، وغياب الرؤية المستقبلية، والاستهلاك والتدمير مقابل العطاء والبناء، والاستفادة من الثغرات القانونية أو محاولة تعطيل بعض أحكامه، الخ ولقد استفحلت مشكلة العشوائيات فى مصر، حتى ، أنّ هناك حوالى ١٥ مليون مواطن يسكنون المناطق العشوائية، أى نحو ٢٥% من جملة سكان المجتمع المصري،ومنهم حوالي ٨ ملايين فرد يسكنون عشوائيات القاهرة وتعد محافظة القاهرة من أكثر المحافظات التي تنتشر بها العشوائيات، إذ يوجد بها ٧٦ منطقة عشوائية، منها ٦٨ منطقة قابلة للتحسين، و١٣ منطقة تحتاج إلي الإزالة وتتعدد أسباب استفحال تلك الظاهرة الخطيرة، ومن أهمها عدم توازن خطط التنمية

على المستويين القطاعي والجغرافي، وغياب الرؤية المستقبلية لتخطيط التنمية، والاتجاه المتصاعد للاعتماد على مصادر ريعية للدخل مثل البترول والعاملين بالخارج، وانتشار ثقافة الاستهلاك الترفي.

والعشوائيات في مصر كارثة يندى لها الجبين فنساء ورجال ،شيوخ واطفال يعيشون على الهامش في دائرة النسيان محرومون من أدنى حد للحياة الكريمة ففى بعض مناطق حلوان مناطق عشوائية ملتصقة بالمقابر مثل عرب غنيم والحكر وعرب راشد وكفر العلو والتبين والبساتين ومنطقة دار السلام التي تسمي منطقة الصين الشعبية والبناء فيها عشوائي بشكل كبير والخروج منها أصعب من الدخول فيها.

وفي شرق القاهرة مدينة السلام علي مشارف الصحراء الشرقية والمكونة من مناطق النهضة والسلام الشرقية والغربية والعصارة الجديدة ومنطقة بركة النصر والمقامة مبانيها علي الكثبان الرملية بشكل غريب مما جعلها وكرا للمخدرات.

أما في وسط القاهرة بجوار منطقة السيدة زينب فهناك المكان الشهير الذي احتل حيزاً من الرأي العام لما حدث فيه من حوادث لا تنسى وهو قلعة الكبش وتستوي مبانيها وسكانها البالغ عددهم حوالي٤٠ ألف نسمة والتي سميت عاصمة الماكس في مصر وتحوطها مقابر زين العابدين وعزبة خير الله وكفر قنديل بالجيزة وأرض عزيز عزت بإمبابة وأرض

مطار إمبابة الذي يستعد سكانه للرحيل وسط حالة من الحزن الشديد بسبب سكنهم في ذلك المكان من عشرات السنين.

وعزبة القرود بمصر القديمة وعزبة أبو حشيش المتاخمة لمنطقة حدائق القبة وحكر الشرابية المتاخم لشارع شركات البترول بغمرة فالبنايات السكنية في الأماكن المذكورة في حالة تردي تام فهي مبنية من الصفيح أو الطين أو الخشب والبشر هناك يعيشون مع الحيوانات في حالة تآلف تام وسعي مشترك علي الرزق ولقمة العيش.

وهناك أناس يعيشون في مقابر القاهرة مثل مقابر البساتين والتونسي والامام الشافعي والإمام الليث وباب الوزير وجبانات عين شمس ومدينة نصر ومصر الجديدة، يعيشون حياة لا يذوقون فيها سوى طعم الموت مع أرواح وأشباح الموتي في المقابر،يصحون على منظر شواهد القبور الصماء وينامون عليها، لا يسمعون سوى صمت الموتى أو صراخ أقاربهم، كل شيء في حياتهم يعبر عن الموت الذي يحاصرهم حتي ابتسامة الأطفال اختفت لتحل محلها هموم عميقة أكبر من أعمارهم.

ونظراً لأن هذه التجمعات السكانية المتناثرة في الشكل والهيكل تقوم بدون تراخيص فلا تسمح أحياء المدن التي تجاور هذه العشوائيات بتوصيل المرافق كالمياه أو الصرف الصحي أو الكهرباء أو التليفونات أو رصف الطرق المؤدية إليها، فأصبحت هذه التجمعات السكانية لا هي حضرية ولا هي ريفية، بل ربما كانت أسوأ من الريفية بكثير وقد أشارت

إحدى الاحصائيات الى أن هناك مولودا كل٢٧ ثانية بتلك المناطق سيعانون بدورهم من التلوث المرعب والفقر والجهل والمرض كما عانى ذووهم من قبلهم ويعتبر أطفال منشية ناصر أكبر مثال لنا على جميع أشكال البؤس والحرمان بالاضافة الى الأمراض النفسية نتيجة انتشار الضرب والسباب في تلك المناطق، مفضلين على ذلك البقاء في الشارع مما يؤدي الى التعرض للانحراف ومنه تعاطي المخدرات، والسرقة وتهديد أمن الغير .

وحوالى ٦٠% من أطفال العشوائيات محرومون تماماً من خدمات التعليم بجانب انخراطهم في سوق العمل في سن مبكرة لإعالة أسرهم حيث نجدهم يعملون في الورش أو كباعة جائلين وعادة ما تلتقطهم عناصر قريبة من المخدرات سواء للتعاطي أو الاتجار .

وعن خريطة العشوائيات في مصر، يوضح الدكتور جمال زهران أنه: حسب التقارير الرسمية، فإنه يوجد على مستوى جمهورية مصر ١٠٠٠ منطقة عشوائية، موزّعة على المناطق المختلفة، منها ٧٦ منطقة

عشوائية تمثل حِزامًا ناسفًا ملفوفًا حول العاصمة بمفردها، إضافة إلى ٦٧ منطقة عشوائية في محافظة القليوبية المجاورة للعاصمة، فيما تشير التقارير الرسمية ومضابط مجلس الشعب إلى أن ٥% فقط من هذه العشوائيات قد تمّ تهذيبها ومنذ بداية التسعينيات والحكومة تتحدّث عن مشروع لتهذيب وتطوير العشوائيات، لكن شيئاً من هذا المشروع لم يرَ النّور.

والتقارير الأخيرة لمنظمة الصحة العالمية تحذر مصر من عودة شرسة لمرض السل وأشارت المنظمة في اجتماعها الأخير لشرق المتوسط لدحر السل إلي أن ١٧% من حالات الإصابة في الإقليم سببها تدخين الشيشة والمرض يصيب شخصاً كل ثانيه وحسب كلام مدير البرنامج القومي لمكافحة السل الدرن فإن هناك ما بين ١٧-١٨ ألف إصابة سنوية في مصر تضاف إلي أعداد المرضي الأصليين الذين يصعب حصرهم نتيجة عدم وجود مسوح علي المستوي القومي، وأشار إلي أن نسبة اكتشاف المرض في مصر ارتفعت- حسب آخر الإحصاءات للبرنامج ٢٠٠٧- إلي ٦٧% ووصل معدل نجاح فى الحالات المعالجة الذي حققته الوزارة والبرنامج إلي ٨٧%وهي نسبة النجاح أو الشفاء في نهاية فترة العلاج بتكلفة ٥٠٠ جنيه للمريض الواحد خلال فترة من ٦ إلي ثمانية أشهر هي مدة العلاج بنسبة عودة للمرض ضئيلة لا تتعدي ٢%.

والمرض يمثل مشكلة صعبة خاصة في حال النوع المقاوم للأدوية التقليدية ويظهر بسبب وجود سلالات من ميكروب الدرن تقاوم المضادات الحيوية، حيث تكون العدوي أكثر شراسة في نقلها، وقد تم أعداد برنامج متكامل لعلاج المرضي المصابين بالسل المقاوم للأدوية، وهناك ١٢٥ مريضاً تحت العلاج بتكلفة ٤ آلاف دولار للمريض الواحد.

ويستلزم علاج الحالة برنامجاً يستغرق ٢١ شهراً يقضي منها المريض ما بين ٣ و٦ أشهر داخل مستشفي صدر العباسية، وهو المستشفي الوحيد الذي يقدم خدمة لمرضي السل المقاومين للعلاج .

الدكتور يسري عقل، أستاذ أمراض الصدر بقصر العيني يقول عن عودة مرض السل بقوة إلي مصر مرة أخري المرض يعيش وينتشر في الزحام والتكدس البشري والتهوية الضعيفة، ويعتبر التكدس بيئة صالحة لانتقال عدوي مرض الدرن الرئوي المعروف باسم السل يشترك مع هذا سوء التغذية وضعف المناعة التي تسبب المرض وبدأنا نشاهد -كأطباء- ظهور المرض بين الطبقات الفقيرة وساكني العشوائيات، نظراً للزحام البشري والسكني في تلك المناطق، حيث يستطيع المريض المصاب أن ينقل العدوي عن طريق الرذاذ إلي ١٥ شخصاً سنوياً من المتعاملين معه أو المقربين منه.

وعن مساهمة الشيشة في عودة المرض خاصة بين الشباب يقول الدكتور هشام طراف، أستاذ الأمراض الصدرية بقصر العيني إن تدخين

الشيشة وهو الظاهرة التي انتشرت في مصر في جميع الأوساط بعد أن كانت تقتصر علي المقاهي البلدية أصبحت في الفنادق والمقاهي الفخمة هو سبب رئيسي في انتشار المرض فالشيشة تنقل عدوي السل نتيجة استخدام نفس الخرطوم من قبل عدة أشخاص، وتغيير المبسم في المقاهي الفاخرة لا يمنع انتقال المرض إذ يبقي الوعاء ممتلئاً بنفس الماء الذي يحتوي علي الميكروب وأن ميكروب الدرن يظل في حالة كمون داخل الشيشة لفترة طويلة.

مراحل نمو مناطق الاسكان العشوائي بمصر:

تنشأ مناطق الاسكان العشوائي بالجهود الذاتية دون أي دعم من الجهات الرسمية والأسرة في أول مراحل استقرارها في هذه المناطق تقوم ببناء مسكن مؤقت من المواد المستعملة المؤقتة واستبدالها بمواد أخرى دائمة، وعادة تلجأ الأسرة في هذه المرحلة إلى مقاول صغير يقوم بدورالتصميم والتنفيذ ويقتصر دور العائلة على عملية التوجيه والحصول على المواد .

النتائج المترتبة على الظاهرة في مصر

- معاناة هذه المناطق من إرتفاع معدلات الخصوبة وإنخفاض مستويات

الدخل وتدهور الظروف السكنية وإرتفاع معدلات البطالة والأمية والتسرب من التعليم وتدهور الأحوال الصحية والتفكك الاجتماعى وشيوع الجريمة وكل أشكال الإنحراف الأخرى .

- انخفاض الإنتاج الزراعي نتيجة معدلات تآكل الأرض الزراعية والمخاطرالمستقبلية حيث أدى زحف المباني والمشروعات والخدمات والاستخدامات غيرالزراعية على الأرض الزراعية إلى فقد مساحات واسعة من الأراضي الزراعية فى مصر بلغت حوالي مليون فدان من الأراضى الزراعية ويلاحظ أن امتداد القرى والنجوع والتوابع يتم بكثافات مباني منخفضة وكثافة استغلال أراضي أقل بكثير عن النمو العشوائي الحضري الذي يتم بكثافات عالية وذلك لاختلاف ظروف المعيشة وأساليب الحياة في كل من الريف والحضرولهذا فإن حجم النمو العشوائي في القرى أخطر بكثير من النمو العشوائي في المدن.

- التدهور البيئي الناتج عن أنشطة التنمية العديدة التي تتم في مناطق النمو العمراني خاصة الأنشطة الصناعية غير المخططة وآثار ذلك على تدهور الخدمات وتلوث البيئة .

- المساهمة في انتشار النمط العشوائي في كافة مناحي الحياة فضلاً عن صعوبة ظروف المعيشية وانخفاض إنتاجيه المجتمع وقيمه والخلل في منظومة العمران المصري وآثاره السلبية .